الترادف اللغوي في لهجة قضاعة

نورة سيد علي عبد النبي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ﷺ)، النبي العربي الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

فإن ظاهرة الترادف تُعد من الظواهر اللغوية التي كثُر حولها النقاش بين العلماء واللغويين قديمًا وحديثًا، وقد عدّها الكثيرون منهم سمة من السمات التي تميزت بها اللغة العربية. والأصل أن يكون اللفظ دالًا علي معني واحدٍ، وأن يكون للفظ معنى واحدٌ يدل عليه، إلا أنه تُوجد بعض المعاني التي يعبر عنها بلفظين أو أكثر ، وهذه الظاهرة تعرف بظاهرة الترادف، ومما لا شك فيه أن اللغة العربية غنية بمفرداتها، وممّا زاد من غناها وجود ظاهرة التّرادف وهي ظاهرة دلالية تعد من أشكال التوسع في التعبير شعرًا ونثرًا.

وقد جاءت لغة قضاعة متضمنة العديد من المترادفات التي تثبت وجود ظاهرة الترادف في اللغة، وتجعل قضاعة موافقة لموقف المقرون بوجود هذه الظاهرة في اللغة العربية، وسنرى ذلك بعد عرض:

- **تعريف الترادف لغةً واصطلاحًا.**
- **موقف علماء اللغة من الترادف.**
- **العوامل التي أدت إلي ظهور الترادف.**
- **نماذج الترادف اللغوي في لهجة قضاعة.**

تعريف الترادف:

لغة: هو التتابع، فقد ذُكر في المعاجم أن الرِدف ما تبع الشيء، وكلُّ شيء تبع شيئًا فهو ردفه، والترادف هو تتابع شيءٍ خلف شيء[1].

و**اصطلاحًا:** هو تعدد الألفاظ لمعني واحد، أو عدم اتفاق اللفظين والمعني واحد[2].

موقف علماء اللغة من الترادف:

اختلف علماء اللغة حول وجود ظاهرة الترادف في اللغة، وانقسموا إلي فريقين:

أحدهما: يُقرّ بوجود الترادف

والآخر: ينكر وجوده في اللغة.

المؤيدون للترادف:

وقد ذهب فريقٌ من اللغويين إلي القول بوجود ظاهرة الترادف في اللغة، أمثال سيبويه والأصمعي وابن خالويه وغيرهم، وهؤلاء يرون أن للشيء الواحد ألفاظًا عديدة دالة عليه، وكانوا يفخرون بحفظهم لعدد كبير من الأسماء الدالة على الشيء الواحد . وقد احتج القائلون بوجود الترادف بأنه لولا الترادف ما جاز التعبير عن شيء باسم غير اسمه، وأنه لو كان لكل لفظة معني غير الأخرى ما كان من الممكن أن يُعبَّر عن شيء بغير عبارته، فمثلا لا يمكن تفسير قوله تعالى:(لا ريب فيه) بـ (لا شك فيه)، وذلك لأن الشك غير الريب، فبذلك يكون التفسير خطأ. وقد عللوا ذلك بأن العرب إنما أوقعت اللفظين علي المعنى الواحد ليدللوا علي اتساعهم في كلامهم، وأن من أسباب ظهور الترادف عندهم تداخل اللهجات حيث أن بعض القبائل تطلق علي الشيء اسمًا معينًا وبعضها يطلق علي نفس الشيء اسمًا آخر فيؤدي ذلك لتداخل اللهجات وتعدد مرادفات المعني الواحد[3].

المنكرون للترادف:

وقد أنكر بعض اللغويين وجود ظاهرة الترادف في اللغة، وقالوا إنه لا ترادف في اللغة، لأنه لا يمكن أن يكون هناك لفظان يحملان نفس المعني، ولكن كل معني له لفظ واحد، وأن ما سواه من الألفاظ ما هي إلا صفات جرت مجرى الاسم الأصلي نتيجة كثرة الاستعمال. وقد كان ابن الأعرابي من المنكرين للترادف فقال:(كل حرفين أوقعتهما العرب على معني واحد، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا)

ومن المنكرين أيضًا ابن درستويه الذي كان يري أنه من المحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد، وثعلب الذي كان لا يجيز اختلاف اللفظين للمعنى الواحد[4].

العوامل التي أدت إلي ظهور الترادف:

(1) اختلاف القبائل.

فقد كان اختلاف القبائل سببًا في اختلاف الألفاظ الدالة علي الشيء الواحد من قبيلة إلي أخري ؛ حيث إن بعض القبائل تسمي الأشياء بأسماء معينة، وبعضها يسمي نفس الأشياء بأسماء أخري وذلك يؤدي إلي التداخل بين اللهجات فتكثر مرادفات المعنى الواحد[5].

(2) التطور الصوتي للكلمات.

حيث تخضع اللغة كغيرها من الأشياء إلي التطور ، ويصيبها من التغيير ما يصيب الناطقين بها في شئون حياتهم فيصيب اللغة التطور علي مختلف مستوياتها من أصوات وبنية وتركيب ودلالة . والتطور الصوتي للكلمات يكون بإبدال أحد أصوات الكلمة بصوت آخر قريب منه في المخرج أو الصفة، مثال: الفِعْلان (هَتَلَ وهَتَنَ)، نحو: هتلت السماء وهتنت، إذا أمطرت حيث تطور صوت اللام في الفعل هتل إلي النون في الفعل هتن أو العكس وقد أدي هذا التطور إلي استخدام كل منهما بوصفه قائما بنفسه غير متطور عن الأخر وقد عدهما ابن جني فعلين أصليين ومن ثم فهما فعلان مترادفان[6].

(3) الاستعارة من اللغات الأجنبية.

حيث يؤدي اختلاط أبناء اللغات المختلفة بعضهم ببعض إلي أن تستعير اللغات من بعضها الألفاظ وتستخدم تلك الألفاظ المستعارة بجانب ألفاظها الأصلية، فتصبح مرادفة لها ومساوية لها في الدلالة[7]، ومن أمثلة الاستعارة من اللغات، كلمة (اليَمّ) فقد استعارتها العربية من الفارسية ،وهي بمعني البحر، وقد وردت في القران الكريم في قوله تعالى: **(ي ي ث ث)**[8].

(4) قيام الصفات مقام الأسماء.

حيث إن صفات الأشياء تقوم مقام أسمائها في الدلالة عليها ؛ فالسيف تستخدم صفاته للدلالة علي ما تدل عليه كلمة السيف عند إطلاقه كالصارم والحسام والمهند والبتار وكل صفة

من صفات السيف تقوم مقامه في الدلالة ولا فرق بين استخدام السيف واستخدام أي صفة من صفاته[9].

نماذج الترادف اللغوي في لهجة قضاعة:

وقد ظهرت في لهجة قضاعة طائفة من المترادفات التي تدل على اتساع العربية منها:

- ورود الأفعال (فاد- فاز- أودى) بمعنى هلك ومات.

فقد جاء في اللسان:

- فاد يفُودُ فودًا: مات وهلك[10]

- فاز يفُوزُ فَوزًا: مات وهلك[11]

- أودى يودى إيدءً: مات وهلك[12].

ومما جاء من لهجة قضاعة مستخدمًا فيه الفعل فاد بمعنى مات قول لبيد بن أبي ربيعة[13]:

رَعَى خَرَزَاتِ الْمُلْكِ سِتِينَ حِجَّةً وَعِشْرِينَ حَتَى فَادَ وَالشَّيْبُ شَامِلُ

فالشاهد في البيت قوله: حتى فاد ، فقد استعمل لبيد ابن أبي ربيعة الفعل فاد للدلالة على الفعل مات وهلك.

ومما جاء مستخدمًا فيه الفعل فاز بمعنى مات قول الكميت شاعر بني أسد أحد بطون قضاعة [14]:

وَمَا ضَرَّهَا أَنَّ كَعْبًا ثَوَى وَفَوَّزَ مِنْ بَعْدِهِ جَرْوَلُ

والشاهد فيه قوله: (فوّزَ) أي مات وهلك

ومما ورد من أقوالهم شاهدًا على استخدامهم الفعل أودى بمعنى مات وهلك، قول عدي بن زيد شاعر قبيلة عاملة إحدى بطون قبيلة قضاعة[15]:

وَتَقُولُ الْعُدَاةُ أَوْدَى عَدِيٌّ وَعَدِيٌّ بِسُخْطِ رُبَّ أَسِيرُ

فاستخدم عدي الفعل أودي بمعنى مات.

- استخدامهم الفعل (صرى) مرادفا للفعل (جمع)

فقد جاءت شواهد لشعراء بني قضاعة تدل علي استعمالهم الفعل صرى مرادفًا للفعل جمع ، ومما جاء من شعرهم قول الأغلب [16]

رُبَّ غُلَامٍ قَدْ صَرَى فِي فِقْرَتِهْ مَاءَ الشَّبَابِ عُنْفُوَانَ سَنْبَتِهْ

فالشاهد في البيت قوله: قد صرى

فالشيء إذا جمع يقال له قد صرى، ومنه قولهم: قد صرى اللبن في ضرع الشاة إذا جمعه، ومنه بيت الشاهد فيقال: صرى الماء في ظهره: إذا حبس الماء ولم يتزوج.

- استخدامهم لفظ (الأُمّة) مرادفًا للفظ (القامة)

وقد استخدم بنو قضاعة لفظ الأمة مرادفًا للفظ (القامة) ، حيث أن من معان الأُمَّة: (القامة) ، والجمع أمم، ومنه قول أعشى قيس[17]:

وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ حِسَانُ الْوُجُوهِ طِوَالُ الْأُمَمْ

فالشاهد قوله: طوال الأُمم، بمعنى طوال القامات.

- استخدامهم الفعل(صار) مرادفًا للفعل (صوّر)

جاءت شواهد لشعراء بني قضاعة مُدللة علي استخدامهم للفعل صار بمعني الفعل صور الذي هو من التصوير، ومنه قول الأعشى[18]:

فَمَا أَيْبُلِيٌّ عَلَي هَيْكَلٍ بَنَاهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَ صَارَا

فالشاهد هنا قوله: و صارا: أي صور الصور . و قد ورد في لسان العرب عن أبي علي الفارسي صار بمعنى صوّر و لم ترد عن أحد غيره .

- استخدامهم لفظ (الغابر) مرادفًا للفظ (الماضي)

والغـابر اسـم فاعـل مـن غبـر و جمعـه غـابرون ، ومؤنثـه غـابرة، وجمعهـا غـابرات وغـوابر، وهو الماضي كما فسره بعض أهل اللغة، ومنه قول الأعشى[19]:

عَضَّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِي لَهُ مِنْ أَمَهِ فِي الزَّمَنِ الْغَابِرِ

والشـاهد فيـه قولـه: فـي الـزمن الغـابر بمعنـي فـي الـزمن الماضـي، ويقـال غبـر الـدهر غبـوره : أي مضى مضيه.

- استخدامهم بعض للدلالة علي كل.

وبعـض الشـيء طائفـة منـه، والجمـع أبعـاض، وقـد أنكـر الأصـمعي إدخـال الألـف والـلام علـي بعـض وكـل لأنهمـا معرفـة بغيـر ألـف ولام، وأبـو حـاتم ذكـر أن العـرب لا تقـول الـبعض ولا الكـل، لكـن الزجـاجي اسـتعمل بعضًـا بـالألف والـلام، وقـال إنمـا قلنـا الـبعض والكـل مجـازًا، وقيـل بعـض الشيء كله ، ومنه قوله تعالى:(ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ)[20] بمعني كل الذي تختلفون فيه

ومنه قول لبيد بن أبي ربيعة[21]:

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَعْتَلِق بَعْضَ النُفُوسِ حِمَامُهَا

والشـاهد فيـه قولـه:(بعض الـنفس) فمعنـاه كـل النفـوس ، فالحمـام هـو القـدر ولا يسـلم أحـد منـه، إلا أن ابـن هشـام وابـن سـيده قـد أنكـروا اسـتعمال بعـض للدلالـة علـي كـل، وقـالوا أن لبيـد أراد بـبعض النفوس نفسَه .

الخاتمة

تبـين مـن خـلال هـذا البحـث و مـا تضـمنه مـن الشـواهد أن لهجـة قضـاعة موافقـة لموقـف المقـرون بوجـود ظـاهرة التـرادف فـي اللغـة العربيـة حيـث جـاءت لغـة شـعرائها متضـمنة كثيـر مـن المترادفات ومنها:

-استخدامهم الأفعال(فاد، فاز، أودى) مرادفة للفعل مات وهلك.

-استخدامهم الفعل(صرى) مرادفًا للفعل(جمع).

-استخدامهم لفظ(الأُمّة) مرادفًا للفظ (القامة).

-استخدامهم لفظ (صار) بمعنى (صوّر)

-استخدامهم لفظ (الغابر) مرادفًا للفظ (الماضي)

-استخدامهم لفظ(بعض) مرادفًا للفظ (كل)

الهوامش:

(1) لسان العرب، ابن منظور(711-630هـ)، تحقيق: ياسر سليمان أبي شادي، مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د.ت. (ردف)(1625)

(2) الكتاب، لأبي بشر عمرو بن قنبر الملقب بسيبويه (المتوفى : 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1397هـ=1977م، (7/1)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير نصر الله بن محمد (المتوفى : 637هـ) تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، د.ت،(50/1)

(3)الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ= 1986م، (98/47)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ= 1998م،(405/1)، في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2002م، ص : 176

(4) الأضداد ، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الحسن بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة الانباري (المتوفى: 328هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، لبنان، 1407هـ = 1987م، ص:7، الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، ص:44، الصاحبي لابن فارس ص:97، المزهر في علوم اللغة(405/1)

(5)الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني(ت : 392هـ)، تحقيق الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ،2007م. وطبع دار الكتب المصرية، تحقيق محمد علي النجار، بالاشتراك مع المكتبة العلمية، القاهرة، د.ت، (373/1)، فصول في فقه اللغة العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1420هـ=1999م، ص: 316

(6) دور الكلمة في اللغة ص170، فصول في علم الأصوات(100الـ 107)

7() فصول في فقه العربية ص:321

(8) سورة طه،أية39

(9) دلالة الألفاظ ص:212

(10) لسان العرب(340/3)، معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ=1979م، (458/4)، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي(المتوفى : 1205 هـ) دار الهداية، د.ت، (511/8)، المخصص(72/2)، تهذيب اللغة(139/14)، مجمل اللغة لابن فارس(707/1)

(11) لسان العرب(392/5)، مقاييس اللغة(459/4)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(890/3)، تاج العروس(273/15)، جمهرة اللغة(822/2)

(12) لسن العرب(385/15)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(2521/6)، معجم اللغة العربية المعاصرة(2420/3)

(13) البيت من الطويل، وهو للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه ص:115، وتهذيب اللغة(97/14)، وجمهرة اللغة(583/1)، ومجمل اللغة(171/2)، وأساس البلاغة للزمخشري(158/1)، ولسان العرب(340/3)، والتنبيه والإيضاح(45/2)

(14) البيت من المتقارب، و هو للكميت بن زيد بن خنيس الأسدي، اشتهر في العصر الأموي، كان خطيبًا لبني أسد وفقيها للشيعة، في ديوانه(30/2)، ولسان العرب(392/5)، وتاج العروس(275/15)، ومقاييس اللغة(459/4)

(15) البيت من الخفيف، وهو لعدي بن زيد بن مالك بن عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، من عاملة، شاعر كبير من أهل دمشق، يكنى أبا داود، في الأضداد ص:267

(16) البيت للاغلب العجلي، وهو الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة من بني عجل بن لجيم، شاعر راجز معمر، أدرك الجاهلية والإسلام، في غريب الحديث(241/2)، وأنشد في الأضداد بلا عزو، والصحاح(100/6)

(17) البيت من المتقارب، وهو للأعشى شاعر جاهلي من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية في ديوانه ص:199، ولسان العرب(135/1)، وتهذيب اللغة(204/1)، والمعجم المفصل(29/7)، معاني القرآن للزجاج(282/1)

18) البيت من السريع، وهو للأعشى في ديوانه ص:103، ومقاييس اللغة(42/1)، والمخصص(134/5)، وتهذيب اللغة(388/15)، وكتاب العين(150/7)

(19) البيت من السريع، وهو للأعشى في ديوانه ص:195، وتاج العروس(188/13)

20() سورة الزخرف، آية63

(21) البيت من الكامل وهو للبيد بن ربيعة العامري